سميح القاسم

ريبورتاج.. عن حزيران عابر

(١)

بين انقاض حزيران التقينا
انا والموت . تداخلنا ، اشتعلنا واضانا
وعلى ارصفة النكسة قابلت كثيرين ـ اعذروني
فالعدد ،
صار شيئا ونقيضه ـ
قال لي الراوي الذي اصبح شعبا في جسد :
« باسم مليون شريد مرة اخرى ،
ومليون ذراع في السلاسل
باسم طفل ، مرة اخرى تيتّم
وعجوز حرموها صفنة الذكرى ،
وتاريخ السنابل
مرة اخرى ،
ومنديل صبيه
حبها نصب على قبر مقاتل
باسم آتي مدن صارت مخيّم
مرة اخرى ،
.. قرى تغرق في ماض محطم
مرة اخرى ،
.. كروم اورقت في الابديه
عبرها دبابة تعوي . وجيش يتقدم
باسم قتلى دفنتهم
في شقوق الصخر . في الصهد . رياح بربريه
لا تسلني اي وجه ذكروه
لا تسلني اي شيء تركوا . اي وصيه
وعن اسم همسوه
لحظة الموت .. فاني لست اعلم !
باسم شعب جعلوه
عبر اعوام من الحزن .. الها في جهنم
باسم شعبي .. اتكلم !»
(وطفونا . وغرقنا
وعلى الجرح خبونا
وعلى الجرح احترقنا ..

(٢)

كل زيتون الجليل
كل ازهار الجليل
كل اعضاء الجليل
وشرايين الجليل
وحساسين الجليل
عرفته . واحبته . وباست راحتيه
راعيا كان ، وفنانا اصيل
صوته ، يحفظه عن ظهر قلب
كل سفح ومطل وسبيل
صوته زفرة ناي . وانتفاضات طبول
لم يزر معهد موسيقى .. ولكن الحقول
لم تبع للاسطوانات العجيبه
نكهة الصوت البدائي الجميل ..
راعيا كان . وغنى .
قبل ان يسقط فيما بعد . والصحف تقول :
« عثرت دورية الامن ،
على عنصر تخريب .. قتيل »
راعيا كان . وغنى قبل ان ...

(احبائي مضوا شرقا وغربا
وفاتوني لنار الشوق نهبا
لعودتهم نذرت فما وقلبا
فشاخ فمي . وقلبي ذاب ذاب
كل العيون عيوني ..

سلاما يا احبائي سلاما
من الجرح الذي صلى وصاما
دمي صوت وصيحاتي خزامى
وانتم صامتون بلا جواب
كل العيون عيوني

اعينوني على جرحي اعينوا
اهدهده ويوقظه الحنين

يهون الامس ولو عدتم يهـون
فملء غدي الطفولة والشباب
كل العيـون عيوني ..)

(٣)

اشعل النيران في جلبابه الصوفي ،
القى فوقه فضلـة صبره
صار ايوبا جديدا
بلغ الكشف فعاد الدهر عن زرقة شعره .
عندما قابلته في ردهة الحزن تبسم
قال لي والخنجر المسموم مغروس بصدره :
اخطأ الله كثيرا ،
ما علي العبد اذا العبد تكلم .. »
وبكى في ردهة الحزن وغنى
للتي صارت نعيما وجهنم :
اجسادك الكثيره
محبوكـة في جسدي
ويوم صارت حولـك القلوب
طبول جيش عاد بالبيارق الكسيره
تقمصت تقريبتي الصخور والدوالي
وفي اتون زهرك البري
تعمدت اصابعي . وجبهتي تعمدت
وقبل ان يلوي بك الغروب
صعدت بالظهيـره ..
اجسادك الكثيـره
محبوكـة في جسدي . يا زوجتي الفقيره
لذا جرعت علقم التاريخ كله
حتى اصير عسلي
هـذا الذي اورثـه ذريتي .

فليسعد الاودية المحتقنه
غموضها وفهمها
وليسعد الجبال في صفنتها الرهيبه
ان تشرب الصوت الذي اصرخه
من قبل ان تنقله اليك
ليرتمي صاعقة في ملتقى يديك

في جسدي محبوكـة
اجسادك الكثيـره
وها أنا ارتقب الصواعق
في الثمر الناضج مثل حبنـا
وها أنا انتظـر الخوارق
في خطوتي الاولى رحابك
فانتظريني .. انتظري ..
بالزاد والماء ، امـام بابك !.

في جسدي اجسادك الكثيره
يا زوجتي الاسيره
وكل اسراري التي اختفت تعود
من حزننا تعـود
من موتنا .. تعـود
بياسمين حبنا تعود ..
وحيث اشتهي تدور الكرة الارضيه
تدور مثل حدقـة
استلها من محجري جنيه
وفي طقوس الرجم والصعود
تزدحم القامـات بين حاجبي
ووجهك الموعود
يطل . آه وجهك المعبود ،
يطل من نقع التواريخ،
وقد مددت لاستقباله كفي !

(٤)

خطاه قداس على الاعتاب
تهللي ايتها الارصفة الحزينه
تزيني أيتها الساحات والقناطر
وليخرج الحزانى
بفصن زيتـون وياسمينه
خطاه قداس على الاعتاب
فا نفتحي لملك المجد الذي اقبل ، يا ابواب
خطـاه قداس ..
وفي فكيه مزمور
عن العدوان والثمار
والمـوت والخلاصة :
بيد اغلق ابـواب جراحي
ويدي الاخرى على باب الصباح
نصل سفاح علـى حنجرتي
وعلى وجهي تهاويل الاضـاحي
قبضة الجبهة لا تمهلني
لحظـة . ما بيـن ذبح واندباح
لم تزل نيرانهـم مفتوحـة
ودمي ينـزف فـلا واقاحـي
. . . . . .
انا اوجاع مـلايين صحت
فصحت غضبة حـق مستباح
مـن رخام الامس دوى المـي
يا سدود انتظري ديـن اكتساحي
ابذر الشمس علـى مستقبلـي
واشج الليـل عن فضل وشاحي
فاضربـوا اوتادكـم في وطنـي
انهـا لعبـة قش ورياح !
. . . . . .
حرّموا الدوح على بلبلـه
وابيحوا لكمـو غيـر المبـاح

سأكيل الصاع صاعين لكم
ناقلا ناري من ساح لساح
مخلب الصقر أنا قلمته
امس . فليكبر على حد سلاحي
تتحدى زهرتي دبابة
فاسحقوها ، تزدهر كل بطاحي
من محيطي لخليجي لم يزل
صاعدا يكتسح الموت جناحي
. . . . . .
وطني جذر عتيق راسخ
طالما قصف اعناق رياح
وطني جنة عدني ، وأنا
حارس الجنة من كف وقاح
وارى حولي رؤوسا اينعت
وانا قاطفها باسم جراحي
. . . . . .
غضبي يحرق من يشعله
غضبي القادم ريحا بلقاح
فافهموا يا سادتي . اخبركم
انني صاح . أعيد القول . صاح
الف هولاكو انا اغرقتهم
في دياجيري . واطلعت صباحي
ينتهي العدوان غيما عابرا
وأنا ابقى . وحبي . وكفاحي !

(٥)

جرع الكأس الممهولة .. دمعا بدماء
وازاح رماد الافق ، وقال :
« وطني بطاقات البريد
وطني وكرتات الاعاشه
وطني . ونيسان جديد
وصلت بشيرته الفراشه !»

(٦)

اخذ الحكمة عن كتب الحزن ، وكان عليه
ان ينجز امرا ما ..
حدّثني من زهرة نار في سيناء . ولم يسترسل :
« ويقول المثل الموروث من جيل لجيل
السنونوة لا تخلق في الارض ربيعا
ويقول المثل الموروث من جيل لجيل
كل حق خلفه طالبه ،
لا . لن يضيعا !»!

قلت له ،
وهو يغيب لينجز امرا ما :
(لو انني املك ان تكون
خاتمة الآباء
واول الابناء
يهون ما كابدته .. يهون
وملء جفني اموت .. باسما !)

(٧)

المارد يطلع من مارد
وملايين تنبض في الساحات
تنبض في الساحات . تموج . تغني . تبكي .
قلبا واحد
وفما واحد :
لسنا شعب الخامس من شهر حزيران
نحن ككل شعوب الارض
نملك ايام السنة الشمسية
والسنة القمريه
نعرف كل فصول الحب ونعرف كل فصول البغض
نعرف حزن الجزر
ونعرف عنف المد
لسنا شعب الخامس من شهر حزيران
فليفهم مستر هولاكو
فليفهم مستر جنكيز خان
وليفهم كل قراصنة التاريخ
في الماضي . والحاضر . والمستقبل
وليفهم كل الاسياد وكل الاعوان :
اقوى من كل الجنرالات
وكل الدبابات
وكل النفاثات
وكل الفواصات
وكل الرادارات .. الخ ..
اقوى منها
كف الانسان على مقبض منجل !

هذا درس الماضي والحاضر ..

فلنتعلم .. للمستقبل !!

سميح القاسم

(عن مجلة « الجديد » بحيفا)